ليس بعام فانه لم يقل الا قالوا كلهم وانما قال الا قالوا ولما كان كثير منهم
قالوا ذلك قال الله تعالى الا قالوا • فان قيل فلم لم يذكر المصدقين كما
ذكر المكذبين وقالوا الا قال بعضهم صدقت وبعضهم كذبت • فالجواب
لان المقصود التسلية وهي على التكذيب نكاية تعالى قال لا تاس على
تكذيب قومك فان اقواما قبلك كذبوا ورسلا كذبوا قوله اتواصوا به
الاستفهام للتعجب والتوبيخ والضمير في به يعود على القول المدلول عليه
بقالوا اي تواصى الاولون والاخرون بهذا القول المتضمن لساحر او مجنون
والمعنى كيف اتفقوا على قول واحد كانهم تواطئوا عليه وقال بعضهم
لبعض لا تقولوا الا هذا واوصى اولهم اخرهم بالتكذيب ثم قال لم يكن ذلك
التواطي قول وانما كان لمعنى جامع وهو ان الكل اترفوا فاستغنوا فنسوا الله
فطغوا فكذبوا رسله • قال ابن عباس حملهم الطغيان فيما اعطيتهم ووسعت
عليهم على تكذيبك قوله فتول عنهم فاعرض عنهم فما انت بملوم لا لوم
عليك قد اديت الرسالة وما قصرت فيما امرت به وهذه تسلية اخرى
قال المفسرون لما نزلت هذه الاية حزن رسول الله صلى الله عليه وسلم
فاشتد ذلك على اصحابه وظنوا ان الوحي قد انقطع وان العذاب قد
حضر اذ امر النبي صلى الله عليه وسلم ان يتولى عنهم فانزل الله تعالى وذكر
فان الذكرى تنفع المومنين فطابت انفسهم والمعنى ليس التولي مطلقا
بل تول واقبل واعرض وادع فلا التولي يضرك اذا كان عليهم ولا التذكير
يضيع اذا كان مع المومنين • قال مقاتل معناه عظ بالقران مكة فان
الذكرى تنفع من علم الله انه يومن منهم • وقال الكلبي عظ بالقران
من امن من قومك فان الذكرى تنفعهم قوله وما خلقت الجن والانس
الا ليعبدون هذا الجار متعلق بخلقت • واختلف في الجن والانس
قيل المراد بهم العموم • والمعنى الا لامرهم بالعبادة وليقروا بها وهذا
منقول عن علي بن ابي طالب ويويده وما امروا الا ليعبدوا الها واحدا
او يكون المعنى ليطيعون وينقادوا للقضاء فالمومن يفعل ذلك طوعا
والكافر كرها فكل مخلوق من الجن والانس خاضع لقضاء الله متذلل لمشيته
لا يملك احد لنفسه خروجا عما خلق عليه • او يكون المعنى الا معدين للعبادة
ثم منهم من ياتي منه ذلك ومنهم من لا كقولك هذا القلم بريته للكتابة
ثم قد يكتب به وقد لا يكتب • وقيل المراد به الخصوص اي ما خلقت السعدا
من الجن والانس الا لعبادتي والاشقيا منهم الا لمعصيتي قاله زيد بن
اسلم قال هو ما جبلوا عليه من السعادة والشقاوة ويويده قوله
ولقد ذرانا لجهنم كثيرا من الجن والانس • وقال مجاهد معناه الا ليعرفون
قال البغوي وهذا احسن لانه لو لم يخلقهم لم يعرف وجوده وتوحيده
بدليل قوله ولين سالتهم من خلقهم ليقولن الله • وقيل الا ليعبدون
اي الا ليوحدون فاما المومن فيوحده في الشدة والرخا واما الكافر
فيوحده في الشدة والبلاء دون النعمة والرخا قال تعالى فاذا ركبوا في
الفلك دعوا الله مخلصين له الدين • وقيل المراد وما خلقت الجن والانس
المومنين • وقيل الطايعين • قال شهاب الدين والاول احسن •
فصل في تعلق الاية بما قبلها ان بعثة الانبيا منحصرة في امرين
عبادة الله وهداية الخلق فلما قال تعالى فتول عنهم فما انت بملوم بين ان
الهداية قد سقطت عند الياس واما العبادة فهي لازمة للخلق المطلق
وليس الخلق المطلق للهداية • وقيل انه لما بين حال من قبله في التكذيب
ذكر هذه الاية ليتبين سوء صنيعهم حيث تركوا عبادة الله الذي خلقهم
العبادة

للعبادة فان قيل اما الحكمة في انه لم يذكر الملايكة مع انهم من اصناف
المكلفين وعبادتهم اكثر من عبادة غيرهم من المكلفين قال تعالى بل
عباد مكرمون لا يستكبرون عن عبادته • فالجواب من وجوه • احدها
انه تقدم ان الاية سيقت لبيان قبح ما يفعله الكفرة من ترك ما خلقوا
له وهذا مختص بالجن والانس لان الكفر موجود في الجن والانس بخلاف الملايكة
الثاني ان النبي عليه الصلوة والسلام كان مبعوثا الى الجن والانس • الثالث
ان عباد الاصنام كانوا يقولون بان الله تعالى عظيم الشان خلق الملايكة
وجعلهم مقربين فهم يعبدون الله وخلقهم لعبادته ونحن لنزول درجتنا
لا نصلح لعبادة الله فنعبد الملايكة وهم يعبدون كما قالوا انما نعبدهم
ليقربونا الى الله فقال تعالى ما خلقت الجن والانس الا ليعبدون ولم
يذكر الملايكة لان الامر فيهم كان مسلما من القوم فذكر المتنازع فيه •
الرابع قيل الجن يتناول الملايكة لان اصل الجن من الاستتار وهم مستترون
عن الخلق فذكر الجن لدخول الملايكة فيهم قوله ما اريد منهم من رزق
اي ان يرزقوا انفسهم وما اريد ان يطعمون اي يطعموا احدا من خلقي وانما
اسند الاطعام الى نفسه لان الخلق عيال الله ومن اطعم عيال احد فقد
اطعمه قال عليه الصلوة والسلام يقول الله استطعمتك فلم تطعمني اي لم
تطعم عبدي • فصل استدل المعتزلة بقوله تعالى وما خلقت
الجن والانس الا ليعبدون على ان افعال الله معللة بالاغراض واجيبوا
بوجوه تقدمت ومنها ان اللام قد تثبت لغير الغرض كقوله تعالى اقم
الصلاة لدلوك الشمس • وقوله فطلقوهن لعدتهن ومعناه المقارنة
فيكون معناه قرنت الخلق بالعبادة اي خلقتهم وفرضت عليهم العبادة
ومنها قوله تعالى الله خالق كل شي ومنها ما يدل على ان الاضلال بفعل
الله كقوله تعالى يضل من يشا وامثاله • ومنها قوله تعالى لا يسال عما يفعل
وقوله يفعل الله ما يشا ويحكم ما يريد وقوله تعالى ما اريد منهم من رزق
وما اريد ان يطعمون • معناه ان النفع يعود اليهم لا الي • فان قيل ما الفايدة
في تكرير الارادة فان من لا يريد من احد رزقا لا يريد منه ان يطعمه
فالجواب ان السيد قد يطلب من العبد المكتسب له فيطلب منه الرزق
وقد يكون للسيد مال وافر ويستغني به عن التكسب لكنه يطلب من
العبد قضا حوايجه واحضار الطعام بين يديه فقال لا اريد ذلك ولا
هذا وقدم طلب الرزق على طلب الاطعام من باب الارتقا من الادنى
الى الاعلى • فان قيل ما فايدة الاطعام بالذكر مع ان المراد عدم طلب
فعل منهم غير التعظيم • فالجواب انه لما عمم النفي في الطلب الاول
بقوله من رزق وذلك اشارة الى التعميم بذكر الاطعام ونفي الادنى
يستتبعه نفي الاعلى بطريق الاولى فكانه قال ما اريد منهم من عين ولا عمل
فان قيل المطالب لا تنحصر فيما ذكره فان السيد قد يشتري العبد لا لطلب
عمل منه ولا لطلب رزق ولا للتعظيم بل يشتريه للتجارة • فالجواب ان
عموم قوله ما اريد منهم من رزق يتناول ذلك قوله ان يطعمون قيل
فيه حذف مضاف اي يطعموا خلقي كما تقدم في التفسير وقيل المعنى ان
ينتفعوا فعبر ببعض وجوه الانتفاعات لان عادة السادة ان ينتفعوا
بعبيدهم والله مستغن عن ذلك قوله ان الله هو الرزاق يعني لجميع
خلقه وهذا التقرير لعدم طلب الرزق • وقوله ذو القوة تقرير لعدم
طلب العمل لان من طلب رزقا يكون فقيرا محتاجا ومن طلب عملا يكون عاجزا
لا قوة له فكانه يقول ما اريد منهم من رزق فاني انا الرزاق ولا العمل فاني

King Saud University
Copyright © King Saud University

Created with PDFsharp 1.2.1269-g (www.pdfsharp.com)